المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر — الاثنين ٢٩ شوال ١٣٢٦ — ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٨ ﴾

اعجاز القرآن

« قطعة للجاحظ »

سلك أئمة البلاغة في الكلام عن اعجاز القرآن الحكيم سبلا عديدة وذهبوا مذاهب مختلفة في تبيين وجوه الاعجاز وبيان أساليب التحدي وكان الباقلاني أكثرهم إيفاء للكلام في كتابه (اعجاز القرآن) الذي جعله خاصا بهذا الموضوع . بيد ان الجاحظ وهو إمام الكتاب ورئيس المنشئين سلك سبيلاً أخرى في كلامه عن اعجاز القرآن فانه لم يتعرض الى دقائق الفصاحة وفلسفة البلاغة وبيان مناحي الكلام ومسالك النظم والنثر بل تكلم عن الاعجاز باعتبار كونه ثابتا واقعا واليك كلامه :

بعث الله محمدا عليه الصلاة والسلام في زمن أكثر ما كانت العرب فيه شاعرا وخطيبا ، وأحكم ما كانت لغة ، واشد ما كانت عدة ، فدعا اقصاها وادناها الى توحيد الله وتصديق رسالته ، فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر وأزال الشبهة ، وصار الذي يمنعهم من الاقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة ، نصب لهم الحرب ونصبوا له ، وقتل من عليتهم واعمامهم وبني اعمامهم ، وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن ، ويدعوهم صباح مساء الى معارضته — ان كان كاذبا — بسورة واحدة أو بآيات يسيرة ، فكلما أراد تحديا لهم بها وتقريعا لهم بعجزهم عنها قالوا له انت تعرف من أخبار الأمم مالا نعرف فلذلك يمكنك مالا يمكننا .

قال فهاتوا ولو مفتريات ، فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ، ولو طمع فيه لتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه ويزعم أنه قد عارض وناقض ، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم ، وعارض الشعراء من أصحابه والخطباء من أمته ، لأن سورة واحدة وآية يسيرة كانت انقض لقوله ، وابلغ في تكذيبه ، واسرع في تفريق اتباعه من بذل النفوس والخروج عن الأوطان وإنفاق الاموال ،

وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والنبل بطبقات ، ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر ، والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ، ولهم الاسجاع واللفظ المنثور ، ثم يتحدى به اقصاهم ، بعد ان ظهر به عجز أدناهم ، فحال — أرشدك الله — ان يجتمع هؤلاء كلهم في الامر الظاهر ، والخطاب المكشوف البين ، مع التقريع بالتقصير والتوقيف — على العجز وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة ، والكلام سيد أعمالهم ، وقد احتاجوا اليه والحاجة تبعث على الحيلة في الامر الغامض ، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة ، كما انه محال ان يطيقوه ثلاثا وعشرين سنة على الغلط في الامر الجليل المنفعة ، فكذلك محال ان يتركوه وهم يعرفونه ، ويجدون السبيل وهم يبذلون أكثر منه ،